

وجدت فهي عواري وان محن الزمان وان مطلت فستفد، وإن لم تصب فكأن
قد، فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها في نفسه، ولا يعدمها في جنسه؟
والشامت إن أفلت فلن يفوت، وإن لم يميت فسيموت، وما أفبح الشماتة بمن
أمن الأمانة، فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة، وعقب كل لفظة، والدهر
غرثان، طعمه الخيار، وظمان شربه الأحرار، فهل يشمت المرء بأنياب آكله،
أم يسر العاقل بسلاح قاتله؟

التعليق:

لجأ «الصولي» في تصوير انفعاله بأحداث الدهر وعوديه إلى المحسنات
البيانية من تشبيه واستعارة وكناية، فقد تخيل الدهر إنساناً جائراً متحاملاً
عليه . . . ربطه بمن لا يعرف فضله ولا يقدره قدره، ثم تركه هكذا أسيراً في
قفصه، معلقاً في حباله، لا يفيء عليه برحمة ولا يخلي سبيله لرحمة غيره، بل
تعقبه في كل سبيل، ليضع أمامه العوائق والعراقيل، ومع ذلك لم ييأس من
رحمة الله؛ سائلاً أياه جميل العقبي وجميل الصبر.

أما البديع والميكالي، فقد أضافا إلى هذه الصور الخيالية، مجملات لفظية
أخرى من سجع موقع وجناس متجانس، وطباق أو مقابلة فضلاً عن الاستواء
وحسن التقسيم.

وأما ابن العميد فقد بذ الجميع في ذلك كله، ثم فرعهم «بالسجع
الحالي»^(١) والأسلوب المرصع^(٢) المتوازي كقوله:

- * «دهرا حووناً غدورا، زمانا خدوعا غرورا»
- * يبدو خيره لمعاً، ثم ينقطع، ويجلو ماؤه جرعا ثم يمتنع
- * لا يجيء معذوره مصمتاً بلا انفراج، ولا يأتي مكروهه صرفاً بلا مزاج.
- * نختلسه من غفلاته، ونسرقه من ساعاته

(١) السجع الحالي: إتفاق الفاصلتين وزناً وروياً.

(٢) المرصع: إتفاق جميع المتقابلات وزناً وتقفية «أنظر المثال: يبدو خيره لمعاً . . .».